



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة :جامعة سطيف 2 محمد لمين دباغين

كلية الآداب واللغات

مخبر مناهج النقد المعاصر وتحليل الخطاب

الملتقى الوطني: كتابة الموت في الخطاب الأدبي

المحور: محكي الموت في الخطاب الشعري

عنوان المداخلة : مفارقات الموت والحياة في شعر ديك الجن الحمصي

## Paradoxes of life and death in Dik al-jin al-himsi poetry

اسم ولقب: مريم زنور<sup>1</sup> الرتبة: أستاذ محاضر ب

جامعة الانتماء: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة.

البريد الإلكتروني: [marianour1985.43@gmail.com](mailto:marianour1985.43@gmail.com)

الرقم التعريفي للباحث orcid: 0000-0002-8494-5663

### الملخص:

تعدّ قصة ديك الجن واحدة من أشهر قصص الحب والموت في تاريخ الآداب العالمية لما نتج عنها من مفارقات شعرية عجيبة جمع فيها الشاعر بين عشق الموت وعشق الحياة حتى كادت هذه الثنائية المتناقضة أن تكون عنواناً دالاً على أشعاره الرقيقة المحمّلة بمخلفات تجربة شعورية قاسية كان لها كبير

<sup>1</sup> مريم زنور: أستاذ محاضر ب قسم اللغة العربية كلية الآداب والحضارة الإسلامية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، حاصلة على شهادة دكتوراه علوم في اللغة والأدب العربي تخصص نقد أدبي، شاركت في عدد من الملتقيات والتظاهرات العلمية قريبة من مجال التخصص إضافة إلى بعض المقالات والندوات العلمية، لها كتابان منشوران (تداخل الأجناس الأدبية في الأدب العربي القديم/جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المعاصرة). الرقم التعريفي للباحث orcid: 0000-0002-8494-5663

الواقع على عالمه الواقعي والتخييلي على حدٍ سواء، وهي تجربة عاش معها الشاعر حالة من الاغتراب عن الذات على وقع فقدان الآخر، إنه فقدان الحبيبة التي تعلّق بها حدّ الجنون، جنون لم تترك فيه الغيرة مجالاً للتروي فعصفت الهواجس بعقله فاختار لها الموت، موت كان فيه شاعرنا القاتل والمقتول وكأنه بقتلها ونحت كأس خمرته من بقايا جسدها ضمن لها خلوداً الأبدية استحال معه الحزن نصاً شعرياً متفرداً ومختلفاً يعكس فلسفة خاصة امتزج فيها الحب بالغيرة والقتل بالندم.

انزاحت تيمة الموت في شعر **ديك الجن** عن معناها الدلالي لتكتسب معاني جديدة، فأخذ الموت منحى تراجيدياً تحوّل معه من مجرد موضوع خاض فيه الشعراء ولازالوا إلى معادل موضوعي للحياة نفسها، فعدلت (تيمة الموت) بذلك عن كونها فاجعة مؤلمة إلى معنى اللذة والوصال الأبدية. وقد جاءت هذه المداخلة للغوص في أعماق هذه التجربة الشعرية والشعورية الخاصة لسبر أغوارها وبيان كيفية تعامل الشاعر مع تيمة الموت ببعديها الواقعي والتخييلي، متخذين من الموضوعاتية منهجاً للدراسة والتحليل.

**الكلمات المفتاحية:** مفارقة، موت، حياة، ديك الجن، رثاء، موضوعاتية.

#### مقدمة:

كان لموضوع الموت حضوراً واضحاً في الشعرية العربية القديمة، فمنذ الجاهلية عبّر الشاعر العربي عن هذه الفاجعة وفق تصوراته وفلسفته الخاصة فقد سار به فكره إلى إدراك حقيقة الحياة وقصر أيامها ومآلها الحتمي، وقد تنوعت السياقات التي ذكر فيها الشاعر العربي الموت، ولئن ارتبط بغرض الرثاء أكثر من أيّ غرض آخر، إلاّ أنّه لم يكن حكراً عليه وإنّما تعداه إلى العديد من الأغراض والمواضع الأخرى.

تعددت طرق تصوير الموت وأساليبه من عصر إلى آخر ومن شاعر إلى آخر، ففي الوقت الذي اعتبر فيه الشاعر الجاهلي الموت أمراً طبيعياً ومصيراً محتوماً نظراً لبساطة فكره وبعده عن التفكير المنطقي المجرد وارتباطه بالحياة في بعدها المادي المحسوس، اختلفت نظرة الشاعر العباسي الذي انفتح فكره على آفاق فكرية وفلسفية مختلفة منحتة فرصة التأمل في الموت والحياة، والروح والنفس، وهو ما جعله أكثر عمقاً في تناوله بموضوع الموت فجاءت أشعاره في هذا الصدد مشبعة بالفكر الفلسفي والمنطقي وكذا الفكر الديني العقدي، ويعدّ **ديك الجن الحمصي** شاعراً إشكالياً مثل ظاهرة متفردة في الشعرية العربية العباسية، وارتبط ذكره بفاجعة الموت إلاّ أنّه لم يكن موتاً عادياً وإنما كان تجربة مؤلمة حكم بها الشاعر على نفسه، فكيف تفاعل **ديك الجن** مع موت كان فيه القاتل والمقتول؟ وإلى أيّ حدّ استطاعت القصيدة أن تعبّر عن هذه الفاجعة؟ وهل كان الشاعر يكتب موت محبوبته القتيلة أم يكتب موت ذاته المفجوعة؟

## 1- ديك الجن: السيرة والقصة

عبد السلام بن رغبان المولود لحمص سنة 161هـ الشهير بـ **ديك الجن الحمصي**، وقد تعددت الأسباب واختلفت الآراء حول سبب تسميته بهذا الاسم، فقد ذهب البعض إلى أنّ ديك الجن دويبة صغيرة<sup>1</sup> تعيش في البساتين فشبه الشاعر بها لكثرة تجواله في بساتين حمص، في حين يرى البعض الآخر أنّها دويبة تعيش في خوابي الخمرة، وقد كان عبد السلام بن رغبان معاقراً للخمر شديد الوله بها فدعي باسم تلك الدويبة. وفي المسألة رأي ثالث يذهب أصحابه إلى أنّ الشاعر لقب بها الاسم لقصيدة قالها في رثاء ديك عمير الذي كان قد ذبحه وأقام عليه مائدة دعا إليها أصدقاءه<sup>2</sup>، في حين ربط البعض الآخر سبب التسمية بلون عيني هذا الشاعر الخضراويين<sup>3</sup>.

أما صاحب **تاج العروس** فقد أشار في هذا السياق إلى دلالة ديك الجن في لغة أهل اليمن والتي تستخدم عندهم للدلالة على الرجل المشفق الرؤوف، كما تستخدم أيضاً للدلالة على الربيع لتلون نباتاته<sup>4</sup>، وعلى الرغم من تعدد الآراء والروايات حول سبب التسمية إلا أننا لا نجد أحداً من العلماء أو الأدباء قدّم رأياً قطعياً في سبب تسمية الشاعر العباسي عبد السلام بن رغبان بديك الجن.

عاش **ديك الجن** قمة الازدهار الثقافي والحضاري زمن الدولة العباسية، وهو ما انعكس في شعره أين ظهرت سعة ثقافته وإلمامه بمختلف علوم عصره من لغة وأدب وتاريخ... أما من الناحية السياسية فقد تشيّع ديك الجن لآل البيت ودافع عن أحقيتهم في الخلافة فأعلن العداء لبني العباس وهو ما بث في نفسه الرعب والقلق من غضبهم وبطشهم، فقد كان **ديك الجن** صورة صادقة عكست حالة الاضطراب والصراع الذي شهده المجتمع العربي زمن الدولة العباسية، اضطراب صنعته الحرية الدينية والعقدية من جهة والتضييق السياسي من جهة أخرى، والمتتبع لأشعار **عبد السلام بن رغبان** يلحظ ما فيها من توتر فكري ونفسي ناتج عن فساد عقيدته التي لم تكن تتسجم مع مذهبه السياسي فقد كان هناك انفصال تام بين انتمائه السياسي ومواقفه الدينية<sup>5</sup> فشاع ذكره وارتبط بالمجون والخلاعة وحب النساء واتباع الشهوات والملذات، ولعل علاقته بالنساء كانت واحدة من أهم أسباب الصراع النفسي الذي عاشه ديك الجن، فما قصته مع المرأة؟ وما سرّ وراء صراعه معها؟

<sup>1</sup> ذكر القزويني أنّ ديك الجن دويبة يلقي في خمر عتيق حتى يموت ويترك في فخارة ويشد رأسها ويدفن في وسط الدار فإنه لا يرى فيها شيء من الأرضة أصلاً ينظر القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 2000م، ص 367.

<sup>2</sup> ينظر الأصفهاني: الأغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، 2008م، ج14، هامش الصفحة 51.

<sup>3</sup> الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1986م، ج4، ص 407.

<sup>4</sup> الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج7، ص 134.

<sup>5</sup> ينظر عبد السلام بن رغبان: الديوان ديك الجن الحمصي، جمع وتحقيق ودراسة مظهر الحجّي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004م، ص ص 40-41.

ارتبط اسم **ديك الجن** في المخيال العربي بوحدة من أشهر قصص الحب في تاريخ الآداب العالمية، فقد عرف بعشقه وهيامه لامرأة نصرانية تدعى (**ورد بنت الناعمة**)، وتقول الرواية أنه تعرّف عليها صدفة قرب أحد الأديرة أين كانت تغني أبيات له، تعلّق **عبد السلام بن رغبان** بورده حتى شاع أمره وانتشر بين الناس بعد أن خلّبت لَبّه وذهبت بعقله وصارت شغله الشاغل في سرّه

وجهره، دعا الشّاعر محبوبته للإسلام فأسلمت حين أيقنت أنه ينوي الزواج منها وفي ذلك يقول:

أنظر إلى شمس القصور وبدرها      وإلى خزامها وبهجة زهرها  
وردية الوجنات يختبر اسمها      من ريقها من لا يحيط بخبرها  
تسفيك كأس مدامة من كفيها      وردية ومدامة من ثغرها<sup>1</sup>

تكللت قصة حب **ديك الجن** وورد بالزواج وظل المحبوبان يتساقيان كؤوس الحب والهوى مدة من الزمن، غير أنّ نسائم الحب لم تدم فبعد سفر الشاعر إلى سلمية<sup>2</sup> قاصداً **أحمد بن علي الهاشمي** بسبب ظروف مادية وقد طال غيابيه وله ابن عم كان قد هجاه فأضمر له الحقد والخديعة، فما كان منه إلا أن استغل فرصة غياب وحاك مكيدة استحالت معها حياة الشاعر جحيماً ومرارة فلم يفارقه الحزن والندم طوال حياته.

أذاع أبو الطيب (**ابن عم ديك الجن**) بين أهل بيته وجيرانه وأصدقائه أنّ ورداً تهوى غلاماً له فشاع الخبر بين الناس حتى بلغ مسامع **عبد السلام بن رغبان** الذي همّ بالعودة، ولم تتوقف مكائد أبي الطيب عند هذا الحدّ وإتّما تعدت ذلك إلى أن أرسل الغلام إلى بيت ورد فور وصول زوجها الذي لم يتوانى لحظة واستل سيفه ليقتل المرأة التي هام بها وعشقها عشقاً خلّدتها كتب الآداب والأشعار كيف لا وقد "كان حادّ الطبع نارٍ المزاج، شديد التّزق، عنيفاً حتى حدود التّهور القاتل الذي لا يتبسّر بالعواقب"<sup>3</sup>. قتل **ديك الجن** ورداً ثم أنشد قائلاً:

لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ لِعَطْفِكَ نَلْت      وَإِلَى ذَلِكَ الْوَصَالِ وَصَلْت  
فَالَّذِي مَنِي اشْتَمَلْت عَلَيْهِ      أَلْعَارِ مَا قَدْ عَلَيْهِ اشْتَمَلْت

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص 37.

<sup>2</sup> سلمية: بفتح أوله وثانيه، وسكون الميم والياء مثناة من تحت خفيفة، كما جاء في قول المتنبي:  
تراها في سلمية مسيطراً

وهي بلدية شامية في ناحية البرية من أعمال حماه بينهما مسيرة يومين وكانت تعدّ من أعمال حمص. ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، دط، ص 240.

<sup>3</sup> عبد السلام بن رغبان: ديوان **ديك الجن الحمصي**، ص 46

لائم لي بجعله ولمـــــــاذا  
أنا وحدي أحببت ثم قتلت<sup>1</sup>  
غير أن الشاعر ما لبث أن كشف حقيقة ما حدث واستيقن منها فندم ندماً شديداً على ما اقترفته يده إثر  
خيانة مزعومة، لم تمر هذه الحادثة على ديك الجن مرور الكرام بل كانت لها آثار عميقة في بنيته النفسية  
والفكرية، فعاش مثقلاً بهذا الذنب خائفاً متوجساً فاقد الثقة في كل من حوله، لقد فقد الديك الثقة في الأنتى  
التي أصبحت تمثل مصدراً من مصادر الخوف لديه، إنها المجهول الذي ينبغي أن نحذره، كما فقد الديك  
الثقة في الأهل كيف لا وقد كان ابن عمه أبو الطيب سببا في مأساته التاريخية، فقد الثقة حتى في مجتمعه  
الغادر الذي تواطأ عليه ليسجن روحه في غياهب الحزن.

## 2- تمظهرات تيمة الحياة في شعر ديك الجن:

إن المتأمل في التجربة الشعرية عند ديك الجن يلاحظ بوضوح دعوته إلى التمسك بالحياة والانغماس  
فيها، فعاش مشبعاً بالحياة منغمساً فيها إلى أبعد الحدود، لكن أية حياة تلك التي أرادها؟

### 1-2 الحياة / التمر:

تمرد عبد السلام بن رغبان على كل النظم والقوانين الاجتماعية والسياسية وحتى الدينية تجتاحه ثورة  
من الرفض على الثوابت والمعايير فأوجد لنفسه قوانين خاصة تصدر من ذاته في حالة من التعويض عن  
الاغتراب النفسي والاجتماعي الذي يعيشه، فلحمه تارة متمردا تمرد الصعاليك ناظرا إلى الحياة نظرتهم  
المتمردة الجريئة، وإن لم تكن حياة السيف والفلاة، فهي حياة الرفض والتّمرد القائم على النقد والهجوم  
الجريء<sup>2</sup> وأشعاره في هذا السياق كثيرة منها قوله:

لا تقف للزّمان في منزل الضيّــــم  
ولا تستــــكن لرقــــة حال  
وإذا خُفت أن يراهقك العــــم  
مُ فعدُّ بالمتقّــــفات العــــوالي<sup>3</sup>  
وقد تعرض بسبب نظرته الجريئة للحياة لنقد اجتماعي لاذع جعله يختار العزلة ويصنع لنفسه منفى  
اختياريا على ضفاف نهر العاصي، أين اتخذت الحياة عنده شكلا آخر هو الخمرة.

### 2-2 الحياة / الخمرة:

اتخذت الخمرة في حياة ديك الجن شكلاً من أشكال التعويض أو الهروب لجأ إليها الشاعر لمواجهة هذا  
العالم القاسي وهذه النفس الضعيفة والهشة التي أفقدتها مأساتها ووحدتها القدرة على المواجهة، لقد "انكب

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 97.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص ص 46-47.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 207.

على الخمر انكبأباً شديداً وزادته فاجعته إمعاناً في هذا الانكبأباً<sup>1</sup> فبقي حتى أخريات حياته معاقراً للخمر "لقد شاب رأسه وشابت لحيته وحاجباه، لكن صينيّة الشراب لم تفارق مجلسه"<sup>2</sup>.

بعيدا عن الواقع صنع الديك من الخمرة عالماً موازياً من الخيالات والهديان، عالم تشطح فيه الروح بكلّ حرية وتتطلق فيه الكلمة متحررة من كلّ القيود والمعايير فأبحرت قصائد عبد السلام بن رغبان في معاني لا يقولها إلا مدمن تحت وطأة الخرف والهديان، فتحوّل بذلك إلى معادل موضوعي للحياة نفسها فهي تعبير عن اللذة والألم في الوقت نفسه، وفي ذلك يقول:

فَنَفَّسْتُ فِي الْبَيْتِ إِذْ مُزِجَتْ بِالْمَاءِ وَاسْتَلْتِ سَنَا اللَّهَبِ  
كَتَنَّفَسِ الرَّيْحَانِ مِنْ وَرْدٍ جُورِ نَاضِرِ الشَّعْبِ<sup>3</sup>

وتجاوز كلّ حدود العقل والمنطق ليجعل من الخمر أعجوبة من أعاجيب الزمان لا تدركها الأفهام، وهي تحيط علماً بكلّ شيء لقد أصبحت الخمر في حياة ديك الجن بديلاً عن الخلق وكلّ ما يصدر عنهم من كلام أو علم

## 2-3 الحياة / اللذة الجنسية:

شكّلت اللذة الجنسية أو اللبيدو شكلاً من أشكال التعويض لمأساة ديك الجن ونوعاً من أنواع التمرد الذي أعلنه على واقعه، ويربط محقق ديوان ديك الجن مظهر الحجي بين الخمرة واللذة الجنسية ويجعل منها قطبين لفلسفة مادية حسية كوّنها الشاعر لنفسه وانغمس بها<sup>4</sup>، وقد جمع في التعبير عن تلك اللذة بين النساء والغلمان حيث كثر في شعره الغزل بالمذكر الذي يعدّ مظهراً من مظاهر المجون وكسر المحظور، وهو حسب تصورنا من تداعيات الخمرة وهواجسها فالارتباط الحاصل بين طرفي ثنائية (اللذة والخمرة) ما هو إلا تعبير عن تعلق مرضي ونوع من الفصام في شخصية شاعر لم تعد تربطه بالحياة سوى محظوراتها، كلّ ما يرفضه المجتمع يتعلّق به هذا الغريق في بحر حزن اقترفته يداه. ومما قاله الشاعر في هذا السياق نذكر:

شَادِنٌ رَاحَ نَحْوَ سَرْحَةِ مَاءٍ مُسْرِعاً وَجَنَّتَاهُ كَالْتَفَاحِ  
وَرَدَ الْمَاءِ ثُمَّ رَاحَ وَقَدْ أَصَدَّ دَرَهُ الْمَاءِ فِي غَلَالَةِ رَاحِ

<sup>1</sup> عبد السلام بن رغبان: ديوان ديك الجن الحمصي، ص 47.

<sup>2</sup> ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، تح سكيينة الشهابي، مطبعة الصباح، دمشق، ط1، 1992م، ج42، ص 239.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 82.

<sup>4</sup> عبد السلام بن رغبان: ديوان ديك الجن الحمصي، ص 47.

دَقَّ حَتَّى حَسْبَتْهُ وَرَقَ الْوَرْدَ      دِ جَنِيًّا يَرِفُّ بَيْنَ الرِّيَاحِ<sup>1</sup>

#### 4-2 الحياة/الطبيعة:

كانت الطبيعة ملاذاً يستأنس به الشاعر ويلجأ إليه وهي عنده ضرب من ضروب التخفيف النفسي عن حالات اليأس والألم التي اجتاحت روحه، إنَّ اللجوء إلى الطبيعة فرصة للبوخ عن مكنونات النفس، محاولة لتسكين آلام الروح وعذاباتها وانفعالاتها في عملية إسقاط يسعى من خلالها إلى رسم لوحة من الفرح الزائف لمواجهة الواقع، والطبيعة في شعر ديك الجن ليست مناظر ساكنة صماء بل هي طبيعة مستنطقة كل ما فيها يسمع ويتكلم، ومن نماذج هذا النوع الراقى من الشعر قوله:

والسَّرُّو تحسبه العيون      قد شمَّرت عن سوقها أثوابها  
ونبات بأقلأء يشبه      زرق الحمام مشيلةً أذناها  
ولو كنت أملك للرياض صيانة      يوماً لما وطئ اللئام ترابها<sup>2</sup>  
ولعل في البيت الأخير دلالة على قداسة الطبيعة وقيمتها الكبيرة في نفس الشاعر فهي تمثل الطهر والنقاء الذي يجب أن يصاب من مكر اللئام الذين سيحاولون تدنيس جماله وصفائه.

عمل الشاعر على إسقاط حالاته النفسية القائم على الطبيعة فاصطنع مشاهد تجمع يعبر من خلالها عن تلك المعارك التي تتطاحن في صدره، التناقضات التي تجول في خلدته، أنظر إلى قوله:

غَرَاءُ جَاءَتْ وَأَطْرَافُ الثَّرَى يَبْسُ      لَكْنَهَا انصَرَفَتْ وَالنَّوْرُ مُنْعَمَسُ  
تَسْرِي وللريح في حافاتِها رَجَلُ      يُرِيكَ ذَهْنُكَ أَنَّ الرِّزْقَ يَنْبَجِسُ  
في مَأْتَمٍ للحَيَا ما انْهَلَّ عَارِضُهُ      إِلَّا وفيه لأبكارِ الثُّرَى

إنَّ في هذه المقطعة القصيرة صورة صادقة عما يعيشه ديك الجن من تناقضات، هي في الواقع تناقضات الحياة نفسها، فالألم قد يكون لوناً من ألوان اللذة التي يراها الشاعر دون غيره من الناس، إنَّه يعيش اللذة في آلامه والفرح في أحزانه. لقد عبّر ديك الجن عن الحياة بصور مختلفة تتجلى لنا من خلالها في فلسفة ديك الجن القائمة التمرد والتمزق.

#### 3- مظهرات تيمة الموت في شعر ديك الجن:

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 109.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 66.

اتخذت الحياة في شعر ديك الجن أشكالاً كثيرة غير أنّها لم تكن في المحصلة سوى سبلاً متعددة لغاية واحدة هي الفرار من واقع لم يجد الشاعر لنفسه مكاناً فيه، "الموت" كان هو نقطة الانعطاف في مسيرة هذا الشاعر الحياتية والأدبية على السواء، فاحت رائحة الموت من قصائد ديك الجن حتى إنّه صرّح في مواضع كثيرة أنّ بات يفضل الموت على الحياة، وقد أخذت تيمة الموت هي الأخرى عدة أشكال وارتبطت بتمظهرات الحياة عنده فلم تتعد عنها، فالموت والحياة عندها توأمان يفضي كلّ منهما إلى الآخر.

### 1-3 الموت /الخمرة:

لازمت الخمرة الشاعر حتى في حديثه عن هادم اللذات، فربط بينهما ربطاً عجيباً تحسبه نوعاً من الجنون أنظر إلى قوله:

فَتَرَاهُمْ صَرَعى وَقَدْ صَعَقَتْهُمْ  
بِكُؤُوسِهَا فِي عَدَّةِ الْأَمْوَاتِ  
يَا حَبَّذَا هُمْ مَيِّتِينَ وَحَبَّذَا  
ذَاكَ الْمَمَاتُ لَهُمْ فَخَيْرُ مَمَاتِ  
مَوْتُ تَنَافَسُهُ الْمَلُوكُ وَيُسْتَرَى  
بِعَقَائِلِ تُلْدِ  
مَوْتُ أَعَزُّ مِنَ الْحَيَاةِ عَلَيْهِمْ  
وَأُلْدُ فِي الْأَفْوَاهِ وَاللَّهْوَاتِ<sup>1</sup>

يذهب الديك في أبياته هذه إلى أنّ الندماء وقد تساقطوا على الأرض صرعى وقد رمتهم الخمرة بسهامها القاتلة نالوا أجمل موت يمكن أن يناله المرء، فجمع الشاعر بين الموت واللذة في مفردة (ألذ) وذلك راجع في تقديرنا إلى الأوجاع التي سكنت روح الشاعر وأرقته فبات يرى في الموت خلاصه الوحيد.

### 2-3 الموت/الحب:

إنّه لمن المفارقات العجيبة أن يجمع نص في معانيه بين الموت والحب، فقد جمع ديك الجن في العديد من النماذج الشعرية بين الغزل والرثاء مستحدثاً بذلك غرضاً شعرياً لم يسبق إليه إنها المرثاة الغزليّة ، وقد تفرّد بطريقة خاصة في الرثاء لا ترجع إلى الصياغة والأساليب وإنما ترجع إلى معنى الفجعة التي مُني بها فقد احتل الحديث عن الحزن والألم والمواقع حيّزاً كبيراً من شعرية ديك الجن، فإذا تأملنا قوله:

جَاءَتْ تَرُورُ فِرَاشِي بَعْدَمَا قُبِرْتُ  
فَظَلْتُ أَلْتُمُ نَحْرًا زَانَهُ  
وَقُلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي قَدْ بُعِثَ لَنَا  
فَكَيْفَ ذَا وَطُرَيْقُ الْقَبْرِ مَسْدُودُ  
قَالَتْ هُنَاكَ عِظَامِي فِيهِ مُودَعَةٌ  
تَعِيثُ فِيهَا بَنَاتُ الْأَرْضِ وَالذُّودُ  
وهذه الرُّوحُ قَدْ جَاءَتْكَ زَائِرَةً  
هذي زيارَةٌ مَنْ فِي الْقَبْرِ مَلْحُودُ<sup>1</sup>

<sup>1</sup> عبد السلام بن رغبان: ديوان ديك الجن الحمصي، ص 101.



نلحظ حجم الألم الذي يسكن نفس الشاعر العاشق وقد زاره طيف محبوبته في المنام، وقد عبّر الشاعر عن ذلك الألم بألفاظ تنازعها الموت (بعثت، قبرت، القبر، مسدود، عظامي، الدود، الروح)، ورغم أنه مجرد طيف إلا أن الشاعر أنس به وقرت به عينه إذ لطالما انتظر قوم هذا الطيف يقول:

أَمَا أَنْ لِلطَّيْفِ أَنْ يَأْتِيَا  
وَأَنْ يَطْرُقَ الْوَطْنَ الدَّائِيَا  
وَأَنْ يَأْتِيَا  
وَأَنْ يَطْرُقَ الْوَطْنَ الدَّائِيَا  
وَأَنْ يَأْتِيَا  
وَأَنْ يَطْرُقَ الْوَطْنَ الدَّائِيَا  
وَأَنْ يَطْرُقَ الْوَطْنَ الدَّائِيَا  
وَأَنْ يَطْرُقَ الْوَطْنَ الدَّائِيَا

ولعل ما زاد عذاب هذا الشاعر هو كون القاتل والمقتول ولعل أبياته التي قالها بعد أن نحر حبيبته ورد أصدق صورة عن حال الحبيب القاتل:

يَا طَلْعَةَ طَلَعِ الحِمَامِ  
رَوَيْتُ مِنْ دُمِهَا الثَّرَى  
قَدْ بَاتَ سَيْفِي فِي مَجَالِ وشَاحِهَا  
فَوَحَقَّ نَعْلُهَا وَمَا وَطِئَ الحَصَى  
مَا كَانَ قَتْلِي لَهَا لِأَيِّ  
لُكُنْ ضَنْنْتُ عَلَى العَيُونِ بِحُسْنِهَا  
وَجَنَى لَهَا تَمَرَ الرَّدَى  
رَوَى الهَوَى شَفْتِي مِنْ شَفْتَيْهَا  
وَمَدَامِعِي تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهَا  
شَيْءٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ  
أَبْكِي إِذَا سَقَطَ الدَّبَابُ عَلَيْهَا  
وَأَنْفَتُ مِنْ نَظَرِ الحَسُودِ إِلَيْهَا<sup>3</sup>

### 2-3 الموت/الندم:

شكّلت تيمة الندم بؤرة دلالية في شعرية ديك الجن ذلك أنها لازمت فاجعته المؤلمة ومثّلت مع تيمة الموت ثنائية متلازمة في الكثير من نصوصه، وقد واكبت تيمة الندم فاجعة الديك ومأساته مع محبوبته ورد فمرت بطورين اثنين:

أ- **الندم على الثقة بها:** ندم الشاعر إلى أبعد الحدود على الثقة الكبيرة التي منحها لمحبوبته ورد، وبل وندم حتى على الزواج منها، ولم يعط نفسه فرصة التفكير في براءتها، والنماذج الممثلة لهذا عديدة لعل أهمها رائيته الشهيرة التي قال فيها:

كُنْتُ رَيْنَ الأَحْيَاءِ إِذْ كُنْتُ فِيهِمْ  
ثُمَّ قَدْ صِرْتُ رَيْنَ أَهْلِ القُبُورِ

<sup>1</sup> عبد السلام بن رغبان: ديوان ديك الجن الحمصي، ص 114.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 247.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 290.

بأبي أنت في الحياة وفي  
 حُنْتُني في المغيّب والحون  
 فُشِقْناي سَيْفِي وأسْرَع في  
 التّراقي قَطْعاً وحَزَّ

وقد وصف فيها محبوبته (ورد) بالخيانة فجعلها نكرة ذميمة بعد أن كانت صورتها تضاهي في جمالها الشمس والبدن، فبنى الشاعر هذا النص على ثنائية الجمال/القبح والتي تتلازم في ذات الوقت مع ثنائية الماضي/الحاضر، ولعل الفعل المتمركز بين طرفي الثنائية والذي يمكن عدّه سببا في تحول الصورة من الطرف الأول (الجمال) إلى الطرف الثاني هو (القبح) هو الفعل (حُنْتُني)، فقد جعل الشاعر الخيانة بؤرة لتحول لصورة محبوبته التي كانت تزين الحياة وتثيرها، وأصبحت تزين أهل القبور فالخيانة هي الجرم الشنيع الذي أتته الحبيبة وجعل الشاعر يفقد الثقة في عالمه ويعيش حالة من النكران للواقع والحياة.

#### ب- الندم على قتلها:

مات الشاعر ومات في نفسه حب الحياة حين قتل محبوبته بسبب الخيانة المزعومة لكّنه مات مرة ثانية حين أدرك أنّه قتل نفساً بريئة، وأيّة نفس إنّها محبوبته التي هام بحبها، فندم الشاعر على فعلته ندماً فاق كلّ الحدود، ولعل هذا ما كسر الشاعر وأجبره على ترك واقعه والعيش في عالم آخر قوامه الخمرة وخيالاتها وهذيانها، لم تعد الحياة عنده سوى حالات من التمرد على الواقع القاتل، يقول ديك الجن:

أَشْفَقْتُ أَنْ يَرِدَ الزَّمَانُ  
 قَمَرٌ أَنَا اسْتَخْرَجْتُهُ مِنْ دَجْنِهِ  
 لِبَلِيَّتِي وَجَلَوْتُهُ  
 فَقَتَلْتُهُ وَلَهُ عَلَيَّ  
 مِلءُ الْحَشَا وَلَهُ الْفُؤَادُ  
 وَالْحُزْنُ يَسْفَحُ عَبْرَتِي فِي  
 عَهْدِي بِهِ مَيْتاً كَأَحْسَنِ نَائِمٍ  
 لَوْ كَانَ يَدْرِي الْمَيْتُ مَاذَا بَعْدَهُ  
 بِالْحَيِّ حَلَّ بَكِي لَهُ فِي  
 غُصَصٍ تَكَادُ تَغِيظُ مِنْهَا نَفْسُهُ  
 أَوْ أَبْتَلَى بَعْدَ الْوَصَالِ بَهْجَرِهِ

حمل الشاعر زمانه مسؤولية أحزانه كلّها فوصفه بالغادر<sup>1</sup> الذي فرّق بينه وبين محبوبته التي وصفها بالجمال المطلق فشبّها بالقمر للدلالة على حسنها وبهائها، حتى وهي ميتة بقيت في عينه جميلة، ثم راح يصف حزنه العميق على قتلها وملاً الندم قلبه بالغصص والآلام.

وفي مقاطع شعرية أخرى انتقل الشاعر من رثاء زوجته إلى رثاء نفسه تعبيراً عن الخسارة الفادحة التي مُني بها والرزء الجسيم الذي جناه على نفسه<sup>1</sup> ومن نماذج ذلك قوله:

<sup>1</sup> عبد السلام بن رغبان: ديوان ديك الجن الحمصي، ص 155.  
<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 151.

يخاطب الشاعر من سكن الثرى واتخذ من التراب مقاماً، يخاطبه ويدرك أنه غير قادر على الإجابة ويستحلفه بحق ما بينهما من الودّ ليخبره أين أصبح مكانه بعد أن كان يسكن أحشاه وأضلاعه، لينتقل إلى وصف حاله وما حلّ به بعد فراق محبوبته من حزن وكمد سيؤدي به إلى اللحد لا محالة، حزنه كان سبب لوم الكثير الناس له فهم يستغربون كيف يقتلها وبكى عليها، ليختم الشاعر نصه بصورة شعرية في غاية الجمال حيث جمع حاله وهو قاتل الحزين على قتيله مع صياد الطيور الذي يذبحا وينوح عليها.

### 3-3 الموت/الذاكرة:

كان للزمن أثره البالغ في التجربة الشعرية عند ديك الجن باعتباره المجال الواسع الذي تتحرك فيه خيوط الذاكرة التي ارتبطت بمأساة الشاعر فأصبحت "منطلق الإبداع، إذ هي الشرارة التي تلهب فتيل التعبير، وهي تدفع المبدع دفعا إلى الإفصاح عن حبيس الإحساس والكلام، وتظل تمدّ المبدع بنسيج معقد من المشاعر والأفكار والخيالات والصور طيلة فترة عملية الإبداع"<sup>2</sup>، وزمان الشاعر موقوت بين الماضي والحاضر، ماض سعيد عاش فيه الشاعر قصة حب سار ذكرها في الأفق وحاضر مؤلم يحمل كلّ معاني الأسى والحزن، وقد شكّلت تيمة الموت نقطة التحوّل بين الزمانين وهو تحوّل ناتج عن لحظة تسرع اتخذ فيها الشاعر القرار الخطأ فأجهز على محبوبته بداعي الخيانة المزعومة، فنعت زمانه بالغانر الذي لا أمان يقول:

أَشْفَقْتُ أَنْ يَرِدَ الزَّمَانُ                      أَوْ أَبْتَلَى بَعْدَ الْوَصَالِ بَهْجَرِهِ  
قَمَرٌ أَنَا اسْتَخْرَجْتُهُ مِنْ                      لَيْلِيَتِي وَجَلَوْتُهُ مِنْ  
فَقَتَلْتُهُ                      وَلَهُ                      عَلَيَّ                      مِلءُ الْحَشَا وَلَهُ الْفُؤَادُ بِأَسْرِهِ.<sup>3</sup>

كَمَا عَبَّرَ الشَّاعِرُ عَنْ نَظَرَتِهِ إِلَى الزَّمَانِ بِقَوْلِهِ:

كُلُّ نَفْسٍ لِحِينِهَا سَبَبٌ                      يَسْرِي إِلَيْهَا كَهَيْئَةِ اللَّعِبِ<sup>4</sup>

جعل الشاعر للزمان سلطة على الأنفس يسوقها إلى حيث يريد، ويحركها كأنها دمي يتلاعب بها، فجعله الأمر النهائي في طيّ صفحات الناس وإنهاء أعمارهم.

### - الخاتمة:

نخلص من خلال هذه القراءة للتجربة الشعرية عند ديك الجن وتقصي مفارقات الموت والحياة في شعره إلى جملة من النتائج نجملها فيما يأتي:

<sup>1</sup> ينظر حسن جعفر نور الدين: ديك الجن الحمصي - عبد السلام بن رغبان عصره وحياته وفنونه الشعرية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م، ص 61.

<sup>2</sup> الحبيب العوادي: الإبداع والإبداعية في الشعر العربي القديم، ط1، مطبعة فنّ الطباعة، تونس، 2010م، ص 52.

<sup>3</sup> عبد السلام بن رغبان: ديوان ديك الجن، ص 151.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 89.

- تمثل التجربة الشعريّة عند ديك الجن الحمصي واحدة من أجمل التجارب الإبداعية في الشعرية العباسية لما توفر فيها من مقومات فنيّة وجماليّة جعلتها ظاهرة إبداعية فريدة كان الموت أحد أبرز التيمات التي حرّكت هذه التجربة وصنعت فرادتها وتميّزها.
- مثل حدث الموت نقطة فاصلة في المسار الشعريّ عند عبد السلام بن رغبان، فتحوّل من شاعر مولع بالحياة ممتلئاً بتفاصيلها، إلى شاعر ينظر إلى الحياة بمنظار الموت الذي تحوّل عنده من مجرد موضوع شعريّ إلى معادل موضوعي للحياة نفسها، فأصبحت الموت والحياة في شعر ديك الجن وجهان لعملة واحدة يفضي كلّ منها إلى الآخر.
- تعكس تيمة الحياة عند **عبد السلام بن رغبان** شكلاً من أشكال التمرد والخروج على كلّ النظم والقوانين الاجتماعية والسياسية وحتى الدينية محاولاً خلق قوانين ونظم جديدة تتخذ من الخمر واللذة الجنسية والتّوجه إلى الطبيعة سبيلاً لتجاوز الاغتراب النفسي والاجتماعي الذي يعيشه.
- احتل الحزن والألم حيّزا كبيرا من شعر ديك الجن فارتبط بكلّ موضوعاته وقضاياها التي تحوّلت معها القصيدة إلى صورة بكائية هاجسها الأوّل هو الحب ممزوجاً بروح الانتقام والندم معاً.

#### قائمة المصادر والمراجع:

##### - المصادر:

1. عبد السلام بن رغبان: الديوان ديك الجن الحمصي، جمع وتحقيق ودراسة مظهر الحجّي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004م.
- المراجع:
2. الأصفهاني: الأغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، 2008م.
  3. الحبيب العوادي: الإبداع والإبداعية في الشعر العربيّ القديم، ط1، مطبعة فنّ الطباعة، تونس، 2010م.
  4. حسن جعفر نور الدين: ديك الجن الحمصي – عبد السلام بن رغبان عصره وحياته وفنونه الشعرية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م.
  5. الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1986م.
  6. الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، ط1، دت.
  7. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، تح سكيّنة الشهابي، مطبعة الصباح، دمشق، ط1، 1992م.
  8. القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 2000م.

9. ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط، دت.